جرعة أنوثة

سرقتها دوامة الحياة، تخرجت في كلية التجارة بتقديرٍ يمكنها - مع واسطة متواضعة - من العمل بأحد البنوك، والزواج بمحاسب زميلها، أنجبت، بدأت تصحو من قبل الشروق على إعداد الفطور، تجري وراء الصغير والكبير. ده عاوز شراب. ده مش لاقي قميص. واحد عاوز شاي، والأخير راح تاني في نوم عميق! ويسدل الستار على الربع الأول من اليوم بصوت كلاكس أتوبيس المدرسة، وبعدها نزول سعيد لتسخين السيارة لحين نزول سلمى التي تسارع بأخذ رشفةٍ سريعةٍ من فنجان القهوة الخاص بها والذي يكون - في الغالب - قد فقد طعمه من طول انتظاره، بسرعة تسرع فى النزول، وتسمع همس سعيد إلى جوارها، وتتصنع الصمم؛ لأنه نقاش ليس له فائدة، واعتادته آذانها كلَّ يوم، ويستمر حوار سعيد مع نفسه، لاسيما مع تزايد الزحام وطول فترة الانتظار في الإشارات، والتوتر يزيد؛ إلى أن ينتهي عند أبواب البنك لتسارع سلمى بالنزول للَّحاق بالإمضاء، ويليها سعيد بالسرعة نفسها.

تسرع بالذهاب لمكتبها قبل أن يعنفها المدير، تلقي تحية الصباح على كلّ من حولها، وعلى الرغم من الابتسامة المرسومة على وجهها؛ التي اعتادتها في عملها وتعاملاتها مع العملاء، فإنها ما إن يلامس جسدها مقعدها أمام الشباك؛ حتى ترى كم الزحام وتشعر بالانهيار، لتبدأ برن الجرس بشكل دائم، حتى إنها لم تنتبه لوصول عامل البوفيه بطلبها المعتاد) نيسكافيه بلاك) ، ثم نداء رقم العميل لتبدأ التعامل مع الأرقام والطلبات، حتى ينتهي اليوم بإمضاء الانصراف، لتبدأ الربع الثاني من يومها.

تصارع مع سعيد الزحام في طريق العودة، وتلقي باللعنات على قيادة مَن أمامها، والهمهمة على المجاور لها الذي أخذ المرآة الجانبية في طريقه من بدون إبداء أي أعذار، هذا الميكروباص الذي يقوم بعمل عدة غرز، هذه الإشارة التي غفلوا وتباطؤوا في تغيير ألوانها. الشمس الحارقة. حتى ينقذها من سخطها وصولها إلى باب العمارة، لتسارع بالنزول تاركة سعيد في معركته الخاصة مع الركنات.

وتبدأ معركتها للربع الثالث من اليوم في المطبخ لتجهيز الطعام قبل عودة أبنائها؛ الذين بمجرد دخولهم، تسارع لتجهيز

المائدة، وبعد تناول الغداء وغسيل الأطباق تبدأ المعركة الرابعة للربع الأخير من اليوم وهي الأصعب على الإطلاق، معركة المذاكرة ومتابعة الواجبات، والصراخ على الأول، ومحاولة التوضيح للثاني، ونزع فتيل الانفجار مع الثالث الذي لا يتوقف عن العناد والمماطلة بالذهاب للحمام مرةً، أو ادعاء الجوع أو التذمر بلا أسباب، يليها مرحلة إعداد الجدول والتجهيز لليوم التالي.

هكذا تتوالى الأيام وتتكرر، حتى ينتهي العام الدراسيّ، وتتنفس سلمى الصعداء. ارتاحت من الربع الرابع من صراع يومها. سنة تلو السنة وهي على الحال نفسها.

كعادة الصيف، يكون سعيد وسلمى حاجزين مصيفًا لمدة سبعة أيام، وهي الأسعد لهم على الإطلاق، لأنهم ببساطة يخرجون من رتابة الحياة ويتحررون من المسؤوليات، في منتصف أغسطس، كان موعدهم لهذا العام؛ وعلى الشاطئ يتمدد سعيد، ويغطي وجهه ببشكير، ويسترخي قدر المستطاع، تنطلق سلمى وراء الأولاد، بعدها يتوجهون لتناول الغداء ثم يعاودون ليلًا النزول، والسير، وحفلات السمر، وركوب العَجَل، والاستمتاع قدر المستطاع.

في اليوم الثالث، قرروا الخروج للسوق التجاري والتجول الحر في المحلات، سمعت سلمى اسمَها، تناديها به امرأةٌ شديدةُ الأناقة رقيقة الملامح، سرعان ما ميزت ملامحَها، إنّها منال، لقد عادت من السفر بعد غياب عشر سنوات، تريد أن تجمع الشمل، وتتسامران مثلما كانتا تفعلان منذ زمن مضى، وجدت سلمى نفسه،ا وقد مرّ وقت طويل، وتردَّدَ في نفسها الرقم الكبير للسنوات، افترقتا على وعد بلقاء وتبادلتا أرقام التليفونات، أكملت هي وسعيد جولتهم،ا ليسألها بكم سنة كانت تسبقها في الجامعة؟ لم يقصد سعيد بسؤاله أي تجريح؛ وماذا لو علم أنها تكبرها بشهور عدة؟ مما دفع سلمى لسؤال نفسها كم مرّ من الوقت على مواجهتها مع المرأة؟ على حديثها مع سعيد بود بعيدًا عن العمل وزحام الحياة والماديات؟ عشر سنوات بعيدًا عن صديقاتها ومداعبات قراءة الفنجان من نجاة، وخفة دم منال، وإيجابية حنان.

أين أنا الآن؟ سألت نفسها لتجد عقلها الباطن يسارعها بالرد:

أنتِ في معركة الحياة في دائرة الصراع! لكن إلى متى؟

لا بدّ من البحث قائلة بينها وبين نفسها:

إما أن تقف عقارب الساعة - وهذا مستحيل — و إما أن أتجرع جرعة أنوثة تحيي ما مات منّي!

قررت سلمى التغيير نفسها، التغيير من داخلها، من أجلها، ومن أجل سعيد.

بعد انتهاء المصيف، بدأت بتلوين ذاك الشعر الأبيض؛ الذي شرع يغزو شعرها، وقصّته كما اعتادت، ونظّمت وجباتها، وفقدت من وزنها الزائد؛ بما سمح لها ارتداء ملابس بشكلٍ يليق بها، وألوان مبهجة تجعلها تبدو في سنّها الحقيقية، لقد كان التغيير كافيًا للفت نظر سعيد الذي كرّر سؤالها:

هو انتِ أصغر من منال بكم سنة؟ وتعالت ضحكاتهما.

مع بداية العام الدراسيّ رجعت حليمة لعادتها القديمة، ولم تنفع جرعةُ الأنوثةِ في تغيير طباعها؛ فسرعان ما عادت إلى رتابة حياتها، ولم يعد متاحًا أمامَها غير الاستعداد لصراع الربع الأخير من اليوم.

obeikandl.com